

إحياء علوم الدين

لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون .

فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحنينهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي // حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه . وبمثلته أخبر عن النصارى إذ قال تعالى فخلق من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء ويأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا . وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه .

وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بـ وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فتري الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله .

نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم

يغتَاب المسلمین ویمزق أعراضهم ویتکلم بما لا یرضاه اﻻ طول النهار من غیر حصر وعدد ویکون نظره إلى عدد سبخته أنه استغفر اﻻ مائة مرة وغفل عن هذیانہ طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبیحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الکرام الکاتبون وقد أوعده اﻻ بالعقاب على كل كلمة فقال ما یلفظ من قول إلا لديه رقیب عتید فهذا أبدأ يتأمل في فضائل التسبیحات والتهليلات ولا یلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابین والکذابین والنمامین والمنافقین یظهرون من الکلام ما لا یضمرونه إلى غیر ذلك من آفات اللسان .
وذلك محض الغرور .

ولعمري لو كان الکرام الکاتبون یطلبون منه أجرة النسخ لما یکتبونه من هذیانہ الذي زاد على تسبیحه لكان عند ذلك یکف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان یعده ویحسبه ویوازنه بتسبیحاته حتى لا یفضل علیه أجرة نسخه فیا عجا لمن یحاسب نفسه ویحتاط خوفا على قیراط یفوته في الأجرة على النسخ ولا یحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعیمه ما هذه إلا مصیبة عظيمة لمن تفکر فیها لقد دفعنا إلى أمر إن شککنا فیہ کنا من الکفرة الجاحدین وإن صدقنا به کنا من الحمقى المغرورین فما هذه أعمال من یرصد بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى اﻻ أن نكون من أهل الکفران فسبحان من صدنا عن التنبه والیقین مع هذا البیان